النظام التربوي الإسلامي وأثره الايجابي على الانسانية

The Islamic educational system and its positive impact on humanity

د. علي قاسم زيدان المهداوي
أستاذ
جامعة ديالى– كلية العلوم الاسلامية

Dr. Ali Qasim Zidan Al-Mahdawi
professor
University of Diyala - College of Islamic Sciences
D.alikz1971@gmail.com

الكلمات المفتاحية: النظام التربوي، الشخصية الاسلامية، الفرد المسلم

Keywords: The educational system, the Islamic personality, the Muslim individual

الملخص

إن الاسلام يمتلك منهجا تربوياً رصيناً من شأنه أنه يسهم في بناء الشخصية الايجابية الإسلامية وتقويمها وتوجيهها، لترشد وتتوازن، وتسلك سلوكها النموذجي الايجابي في الحياة، بعيدا عن منزلقات المحدثات الدخيلة علينا من كل حدبا وصوبا؛ حتى يكون المسلم شخصية سعيدة متزنه وواقعية تنعم بما جاءت به شريعة الاسلام، والتربية عموما نظام له ضرورة بشرية لابد منه من أجل بناء الأجيال وتطورها، وتأكيد القيم الايجابية وصلاح النفوس صلاحاً روحيًا وخلقيًا ونفسيًا وعقليًا وجسميًا واجتماعيًا ليكون إنسانًا ايجابيا ومواطنًا قادرًا على النهوض بمجتمعه على أساس علمي وفق معايير النظم الرشيدة التي وضعها ديننا الاسلامي الحنيف.

Abstract

Islam has a solid educational approach that would contribute to building, correcting and directing the positive Islamic personality, so that it can be guided, balanced, and follow its positive model behavior in life, away from the slippers of modern innovations that intrude upon us from all sides. So that the Muslim can be a happy, balanced and realistic personality who enjoys what Islamic law has brought, and education in general is a system that has a human necessity that is necessary in order to build and develop generations, and to affirm positive values and the spiritual, moral, psychological, mental, physical and social well-being of souls so that he will be a positive human being and a citizen capable of advancing his society on the basis of... Scientific according to the standards of rational systems established by our true Islamic religion.

المقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه، ومن اقتفى أثره واهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدينِ.

في هذه الفترة الحرجة التي تمر بها بلادنا الاسلامية، ونحن نواجه اليوم كماً هائلاً من الفتن والمحدثات الدخيلة على مجتمعاتنا الاسلامية، حيث يصل فيها الفزع إلى غايته والقلق إلى منتهاه، والمسلم ليس بمنأى عن ذلك، وكلنا نلحظ إلى أي مدى تخبطت البشرية حين شردت عن منهج الله في هذه الحياة. والإسلام بفضل الله يمتلك منهجا تربوياً رصيناً من شأنه أنه يسهم في بناء الشخصية الايجابية الإسلامية وتقويمها وتوجيهها، لترشد وتتوازن، وتسلك سلوكها النموذجي الايجابي في الحياة، بعيدا عن منزلقات المحدثات الدخيلة علينا من كل حدبا وصوبا؛ حتى يكون المسلم شخصية سعيدة متزنه وواقعية تنعم بما جاءت به شريعة الاسلام، والتربية عموما نظام له ضرورة بشرية لابد منه من أجل بناء الأجيال وتطورها، وتأكيد القيم الايجابية وصلاح النفوس صلاحاً روحيًا وخلقيًا ونفسيًا وعقليًا وجسميًا واجتماعيًا ليكون إنسانًا ايجابيا ومواطنًا قادرًا على النهوض بمجتمعه على أساس علمي وفق معايير النظم الرشيدة التي وضعها ديننا الاسلامي الحنيف.

وفي ما يأتي نقسم البحث الى:

المبحث الأول

أهداف النظام التربوي والأسس العامة للتربية الإسلامية.

المطلب الأول: أهداف النظام التربوي في الاسلام.

تهدف التربية الاسلامية الى إعداد الانسان الصالح لعمارة الأرض عمارة راقيةً وفق نظام تربوي سديد، وتأهيله كي يكون إنسانًا متكاملًا من النواحي البدنية والروحية والأخلاقية في ضوء المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام، وطبقًا لأساليبه وطرائقه التربوية. كون أن هذا الإنسان خليفة الله في أرضه، ويهتم القرآن الكريم والحديث الشريف بتربية ذات فلسفة واضحة تهدف إلى أن يصير كل إنسان مخلصاً لله في أعماله صادقاً في أقواله، والعبادة بمفهومها الواسع تشمل جميع أشكال النشاط الإنساني الروحي والخلقي والعلمي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وهو محور العمل الدنيوي والاخروي وهذا هو الهدف الكلي للتربية في الإسلام(١).

وهناك عددا من الاهداف الفرعية الاخرى في التربية الاسلامية، يمكن للباحث أجمالها فيما يأتي:

أولًا: تربية الفرد المسلم والزامه على تحمل الواجبات والآداب الشرعية: لابد من توعية الفرد المسلم وإلزامه الأحكام والآداب الشرعية كآداب الطعام واللباس والاستئذان والنوم وكافة الآداب التي وردت، ومحور هذا الهدف يمكن تلخيصه في أنه: بناء الشخصية المسلمة السوية التي تؤمن بتكوين الإنسان المسلم الذي يؤمن بخالقه، ويعرف منزلته في الكون ووظيفته في تعمير الحياة وفق منهج الله، فإن من مقاصد الشريعة الإسلامية هو إعداد الإنسان المسلم الذي يعبد الله حق العبادة ويسير على طريق الله تعالى ويلتزم بمنهجه القويم المستقيم الذي أرسل رسوله الكريم (ﷺ) لهداية الخلق أجمعين منذ بعثته وإلى أن تقوم الساعة وانطلاقا من قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ}(٢)، وهذه هي بداية الواجبات لان العبادة لا تصرف إلا لله تعالى وحدَه دون سواه، قال الله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}(٣)، ووصف عبادَه الذين يمكنهم في الأرض بأنهم يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وقال جل ذكره: {فَمَنْ كان يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}(٤)، فالعبادة في مظهرها العام هي الترجمة العملية لمشاعر الفرد نحو خالقه، وخضوعه واستسلامه له، وهي

---

(١) ينظر: طرق تدريس التربية الاسلامية للزحيلي ص١٦٤، والتربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، المؤلف: عاطف السيد ص٢١.

(٢) سورة الذاريات: من الآية: ٥٦.

(٣) سورة النساء: من الآية: ٣٦.

(٤) سورة الكهف: من الآية: ١١٠.

التي تربط الفرد بمجتمعه؛ لأن العبادات كلها تهدف إلى تماسك المسلمين، وترابطهم واتحادهم في المنهج والمصير، ولا أعني أن العبادة قاصرة على مناسك التعبد المعروفة من صلاة وصيام وزكاة، وإنما هي أعمق من ذلك، إنها العبودية لله وحده، والتلقي من الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة، أو هي إسلام الوجه لله تعالى في جميع مناحي الحياة، وأن يسلم العبد وجهه لله عز وجل بالكلية، فلا يعمل عملًا من أمور الدنيا إلا إذا قصد به وجه الله تعالى وأدرك أن هذا العمل يحتاج إليه المجتمع المسلم، وينفعه ويفيده(١).

ومن الآداب الشرعية: الحكمة، وحسن التدبير، والفطنة لدقائق الأمور، وجودة الرأي والشجاعة، والكرم والشهامة، والمروءة وقوة الاحتمال، والثبات وكظم الغيظ، والوقار، والعفة والحياء، والصبر والورع، والقناعة والعفو، وعزة النفس وقلة الطمع، وبالأخلاق الحسنة يتجنب الحمق والتهور، والتجبر والتكبر والصرف والخوف والجزع، ودناءة النفس، وقبول المهانة، والذل والبخل، وغلظته في معاملة الناس، وإساءة الظن بهم، والحسد والمن والشماتة واستحقار الآخرين، وقد كان (صلى الله عليه وسلم) من أحسن الناس خلقًا، قال الله تعالى عنه: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}(٢).

فالعبودية لله هي جميع ما جاءت به الشريعة من واجبات وآداب وكلها تقتضي الخضوع الكامل لله تعالى وأن يتلقى العبد من ربه ومولاه ما أمره به من واجبات وآداب شرعية، ثم هي صلة دائمة بالله تعالى وهذه الصلة في الحقيقة هي منهج من مناهج التربية الاسلامية.

ثانيا: ترسيخ المسؤولية الأخلاقية تجاه أبناء المجتمع عموما وبخاصة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر: والأخلاق هي من أسمى أهداف التربية الإسلامية الصحيحة، وقد وصف الله تعالى نبينا محمد (ﷺ) بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم}(٣) وقال الرسول (ﷺ): (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)(٤)، وقال (ﷺ): (إن أحبكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة،

---

(١) ينظر: طرق تدريس التربية الاسلامية للزحيلي ص١٦٤، والتربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها ص٢١.

(٢) سورة التوبة: من الآية: ١٢٨.

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) رواه أحمد في المسند: ٣٨١/٢، والحاكم (٢ / ٦١٣) ، والبيهقي (١٠ / ١٩٢) ، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

أحاسنكم أخلاقًا)[١]، تأملوا فضيلة الخُلُق، وكيف أنه هدف نبيل من أهداف التربية الإسلامية[٢].

ومن دواعي ترسيخ الاخلاق في المجتمع الإسلامي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا بابٌ عظيم الشأن والقدر، به كانت هذه الأمة خير الأمم: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}[٣]، قال ابن كثير: قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): (من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها)[٤]، ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله تعالى: {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ}[٥].

وبترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يحل بهم العقاب. فقد روى الامام أحمد في مسنده قال: (قام أبو بكر (رضي الله عنه) فحمد الله عز وجل وأثنى عليه فقال أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}[٦] إلى آخر الآية، وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر، لا يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعقاب)[٧].

ومن باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التعاون بين ابناء المجتمع كالمبادأة بالهدية، وعيادة المريض، وصنع الطعام لأهل الميت، ورعاية اليتيم والمسكين وابن السبيل، وإكرام الضيف وتفقد الغائب، وتعهد الضعيف، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإقراء السلام ورده، والتكافل الاقتصادي على سعته جزء من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر،

---

(١) رواه الترمذي برقم ٢٠١٩، وقال عنه: حديث حسن.

(٢) ينظر: طرق تدريس التربية الاسلامية للزحيلي ص١٦٤، والتربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها ص٢١، وكتاب طرائق التدريس ص١٤.

(٣) سورة آل عمران ١١٠.

(٤) إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لتقي الدين المقريزي: ٨٧/٩.

(٥) سورة المائدة ٧٩، وتفسير القرآن العظيم:٣٨٧/١، وكنز العمال: ٣٧٦/٢.

(٦) سورة المائدة من الآية: ١٠٥.

(٧) رواه الترمذي الفتن (٢١٦٨) ، ورواه أبو داود الملاحم (٤٣٣٨) ، ورواه أحمد بن حنبل (٧/١) .

وبهذا المبدأ يكون المجتمع متضامنًا في حمل المسؤولية الاجتماعية وملزمًا بتحقيق المعروف في ربوعه، ويترتب على كل ذلك الثواب والعقاب(١).

ثالثًا: تنمية قدرات الفرد المسلم المتنوعة: وهي تنمية قدرات المسلم من عدة جوانب (العلمية- الثقافية- الاجتماعية- المهنية- وغيرها)، وبحسب ما تتيحه الانشطة المتوفرة لتنمية المهارات المختلفة، والملاحظ أن المجتمعات الإنسانية كلها في الشرق والغرب، تتخذ نشرَ الثقافة ونقلها بين الأجيال هدفًا أساسيًّا في نظامها التربوي، والإسلام ركز على التعلم وأول ما دعا إلى جعل التعليم فريضة على كل مسلم رجلًا كان أو امرأة، فالتعليم كما هو هدف فهو وسيلة إلى الهدفين السابقين أعني: (إخلاص العبادة لله، وتربية الأخلاق) لا شك أن هذا الهدف السامي النبيل ألا وهو نشر العلم والثقافة هدف نبيل أيضًا، ووسيلة إلى تحقيق الهدفين السابقين، ووسيلة أيضًا لفهم الحقائق الاجتماعية والسياسية والروحية التي جاء بها الاسلام(٢).

فقد كانت الأمة الإسلامية كلها أول الأمر في مدرسة واحدة، هي مدرسة محمد (ﷺ) التي كانت تعلم وتثقف، وترسل الحفظة والمعلمين، وتفتدى الأسرى إذا ساهموا في نشر الكتابة والقراءة، ويحث المتعلمين على القيام بواجب التعليم والتثقيف، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم؛ لعلهم يحذرون، وقال الرسول (ﷺ) لمعاذ: (لئن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمْر النَّعم)(٣).

والقرآن يحث على طلب العلم والسعي في سبيله، قال تعالى: {فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ}(٤)، وقال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}(٥)، وقد ورد عن الرسول (ﷺ): (من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا، سلك الله به طريقًا إلى الجنة)(٦)، وقال (ﷺ): (إن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم؛ رضا بما يصنع)(٧)، وكلنا نعلم مكانة العلماء وطلابهم، فهم الذين يحققون أسبابَ وجودهم في الحياة، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}(٨)، وقال تعالى: {يَرْفَعِ اللَّهُ

---

(١) ينظر: دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه ص٤٣٥.

(٢) ينظر: طرق تدريس التربية الاسلامية للزحيلي ص١٦٤، والتربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها ص٢١، وكتاب طرائق التدريس ص١٤.

(٣) رواه البخاري المغازي برقم: (٤٢١٠) ، ومسلم: فضائل الصحابة برقم: (٢٤٠٦) .

(٤) سورة التوبة: ١٢٢.

(٥) سورة النحل: ٤٣.

(٦) رواه مسلم: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار برقم: (٢٦٩٩) .

(٧) رواه ابن ماجة: ٨٢/١ ح٢٢٦.

(٨) سورة فاطر: ٢٨.

الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}[١]، وقد ذكر الله تعالى العلماء بعده وبعد الملائكة؛ تشريفًا وإجلالًا، فقال سبحانه: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ}[٢]، والعلماء هم ورثة الأنبياء، يستغفر لهم ما في السموات والأرض، وتشتغل الملائكة بالاستغفار لهم، وهم مفضلون على العباد[٣].

واحترام العمل والتشجيع على ممارسته من أهم أهداف التربية الإسلامية ومقوماتها، فقد كان الرسول (ﷺ) يدفع أصحابه للعمل، ويحثهم عليه، ويخبرُ بأن الله يحب اليد العاملة: (ولئن يأخذ المسلم حبله فيحتطب، خيرًا له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه)[٤]، والتدريب على العمل المهني لا بد من ربطه ببناء العقول والأخلاق: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يتقنه)[٥].

ومن ثمار أهداف التربية الاسلامية هو: إتقان العمل وارتباط ذلك بتقوى الله تعالى وخشية ومراقبته، وبالأمانة وتقدير المسؤولية، لذا فلا بد من أن يتضمن العمل؛ ممارسة وتعلم مهنة صناعية أو زراعية أو تجارية، وعلى العلماء والدعاة إلى الله تعالى أن يهتموا بهذا الجانب في عموم الحياة، وأن يوجهوا إلى ذلك المسؤولين فيها والإداريين، وأن يعتنوا بالشباب بصورة خاصة[٦].

وهكذا نرى أن أهداف التربية الإسلامية تحقق التكامل بين الأهداف الدينية والدنيوية كما تحقق التفاعل الخلاق واللقاء الدائم بين الإنسان وخالقه، بين القلب والعقل، بين الدنيا والآخرة[٧].

المطلب الثاني: الأسس العامة التربية الإسلامية:

تستند التربية الإسلامية إلى مجموعة من الأسس وهي بمثابة قواعد وركائز ثابتة يبتنى عليها النظام التربوي في الإسلام ، وأهم هذه الأسس ما يلي:

---

(١) سورة المجادلة: ١١.

(٢) سورة آل عمران: من الآية: ١٨.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي: ٤١/١.

(٤) رواه البخاري برقم (١٤٧٠) ، ومسلم برقم (١٠٤٢) .

(٥) أخرجه صاحب صحيح الجامع برقم:١٨٨٠ وقال عنه حديث حسن.

(٦) ينظر: اصول الدعوة ص٢٥٣.

(٧) ينظر: بناء المجتمع الاسلامي ص١٢١.

١- التربية الإسلامية تربية تكاملية شاملة:

ويقصد بالتكامل أو الشمول لجميع جوانب الحياة الإنسانية روحية كانت أو جسمية، دينية أو دنيوية، قلبية أو بدنية، فردية أو جماعية إلا رسمت لها الطريق الأمثل للسلوك الرفيع، فللفكر قيم، وللاعتقاد قيم، وللنفس قيم، وللسلوك الظاهر قيم. فالمعيشة الأرضية تحتاج إلى إشباع حاجات النفس والعقل والروح والجسم معًا٠ لذا فإن التربية الإسلامية تخاطب حواس الإنسان وقواه شاملة. وتحتكم إليها بدليل قوله تعالى: {إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا}(١).

والتربية الإسلامية ترفض النظرة الأحادية أو الثنائية إلى الطبيعة الإنسانية التي تقوم على التمييز بين العقل والجسم وسمو العقل على الجسم، وإنما هي تنظر إلى الإنسان نظرة متكاملة تشمل كل جوانب الشخصية فهي تربية للجسم وتربية للنفس والعقل معا، ولا شك أن كل جانب من هذه الجوانب يؤثر في الآخر ويتأثر به(٢).

ويرى احد الكتاب المعاصرين على أن الإنسان كل لا يتجزأ، للجانب الجسمي أو البيولوجي حاجاته ومتطلباته، وللجانب الروحي والعقلاني حاجاته ومتطلباته؛ ومن هنا لا يجوز له الإسراف في مرضاة هذا، ولا في مرضاة ذاك(٣).

وخلاصة القول في شمولية التربية في الاسلام أنها تسعى الى تحقيق أهداف قريبة في الحياة الدنيا وأهداف بعيدة تتصل بالعمل للآخرة.

٢- التربية الإسلامية تربية مثالية واقعية:

تستمد التربية الإسلامية خاصيتها المثالية من الشريعة الإسلامية نفسها، فقد استخلف الله الإنسان في الأرض وجعله خليفته فيها، وفي أصل خلقه فنفخ فيه من روحه، وكرمه على كثير من خلقه، وجعله أشرف مخلوق على الأرض، ومن هنا تنشد التربية الإسلامية السمو بهذا الإنسان وبلوغه درجة الكمال والرفعة(٤).

والتربية الإسلامية تربية واقعية، وهي تستمد هذه الخاصية أيضا من واقعية الاحكام الإسلامية، فالتربية الإسلامية تراعي جانب الواقعية في التطبيق تماشيا مع قوله عز وجل: {لا

---

(١) سورة الإسراء: من الآية: ٣٦.

(٢) ينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي ص٦١، نشر: عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣) ينظر: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، المؤلف: أبو أسامة، محمود محمد ص١٩، نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض ، ط٢ سنة: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، والإنسان في القرآن، المؤلف عباس العقاد، نشر دار الاسلام ص٣٣.

(٤) ينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص٦٤.

يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}[١]، ولذلك قامت التكاليف الإسلامية والعبادات على أساس اليسر والسهولة في أدائها والقيام بها، كما قامت على أساس رفع المشقة والضيق والحرج عن الإنسان، قال تعالى: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}[٢]، وقال الرسول (ﷺ): (بعثت بالحنيفة السمحاء)[٣].

وصح عن أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها) قالت: (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن إثما فان كان إثما كان ابعد الناس منه)[٤].

٣- التربية الإسلامية تربية سلوكية عملية:

التربية الاسلامية لا تكتفي بالقول وإنما تتعداه إلى العمل والممارسة، ونحن إذا نظرنا الى اركان الإسلام الخمسة التي بني عليها؛ نجد أنها تتطلب سلوكًا عمليًّا؛ فالشهادة بوحدانية الله ونبوة رسوله محمد (ﷺ) وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان، كلها تتطلب سلوكًا عمليًّا، ومن تمام كمال الإنسان المسلم أن تتطابق أقواله مع أفعاله بدليل قوله تعالى: {كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ}[٥]، وكما اهتمت التربية الإسلامية بتكوين العادات السلوكية الحسنة عند الفرد منذ طفولته الأولى لِمَا في هذه العادات من أثر طيب في اكتساب الفضائل، والبعد عن الشرور والرذائل[٦].

وقد أكد علماء المسلمين على أن يقوم المجتمع الإسلامي على العمل بعد العلم والتربية في الاسلام سلوكية اجتماعية وهي عملية تعديل وتغيير في سلوك الفرد وبالتالي فهي عملية تعلم، إلا أن هذا التعلم قد يكون مباشرا من خلال التدريب عليه أو غير مباشر من خلال تقليد المحيطين به. وقد يتعلم الفرد أنماطا سلوكية لم يعلمها له الراشدون وربما نهوه عنها، لأنه يعمل ما يشاهده ويراه من تصرفات وسلوك وأغلب ما يحاط بالأفراد يمكن اعتباره نماذج سلوكية عملية[٧].

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٨٦.

(٢) سورة الحج من الآية: ٧٨.

(٣) كنز العمال: ٤٤٥/١١، وينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص٦٤.

(٤) رواه البخاري – كتاب الأدب – باب ٨٠ – الحديث ٦١٢٦.

(٥) سورة الصف: ٣.

(٦) ينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص٦٤.

(٧) ينظر: تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، المؤلف: دكتور زكريا الشربينى، دار الفكر العربي، ص٣١.

فما فائدة التنظير إن صحت العبارة دون سلوك عملي يرقى بالإنسان الى مستوى رفيع يليق بوجوده في الحياة.

٤- التربية الإسلامية تربية فردية واجتماعية معا:

تقوم التربية الإسلامية على تربية الإنسان تربية فردية ذاتية فهي تربية على الفضيلة ليكون مصدر خير لمجتمعه وتحمله مسؤولية أعماله وتصرفاته، فكل امرئ بما كسب رهين، وكل مسلم راعٍ وهو مسؤول عن رعيته، وفي نفس الوقت يربي الإسلام الفرد تربية اجتماعية، فالمسلم أخو المسلم، والمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، كقوله (ﷺ): (مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسم إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى)[١].

وهي تربية تجرد الفرد من روح الأنانية البغيضة التي نهى عنها الرسول (ﷺ): (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٢]، وقال (ﷺ): (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم)[٣].

وتؤكد التربية الإسلامية على أهمية القدوة والوسط الاجتماعي في تنشئة الفرد، واهتمت بتكوين العادات الحسنة منذ النشأة الأولى للطفل لمخالطته للنماذج الطيبة وإبعاده عن قرناء السوء، فمثل الجليس الصالح والجليس السوء كبائع المسك ونافخ الكير، وتعمل الشريعة الإسلامية في مجمل احكامها على الموازنة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة من الناحية التشريعية، ومع ذلك فإن الاسلام يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد[٤].

٥- التربية الإسلامية تربية لفطرة الإنسان وإعلاء لدوافعه:

تقوم التربية الإسلامية على التسليم بفطرة الطبيعة الإنسانية وأن الإنسان يولد بطبيعة إنسانية فطرية محايدة، وقد ورد عن النبي (ﷺ) قوله: (ما من مولود إلا ويولد على الفطرة وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٥]، ويقول الله عز وجل: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}[٦].

---

(١) رواه البخاري في الأدب: (٦٠١١) ، ومسلم البر والصلة والآداب: (٢٥٨٦) ، وأحمد بن حنبل في المسند: ٤/٢٧٠.

(٢) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) من حديث أنس.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الأوسط: ٧/٢٧٠، ح٧٤٧٣.

(٤) ينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية ص٦٩، وعلم الأخلاق الإسلامية، المؤلف: مقداد يالجن محمد علي ص٣٦٤، وبناء المجتمع الاسلامي ص٤٢.

(٥) متفق عليه، رواه البخاري برقم (١٣٨٥) ، واللفظ له، ومسلم برقم (٢٦٥٨) .

(٦) سورة النحل: ٧٨.

والتربية الإسلامية هي تهذيب ورعاية لهذه الفطرة الإنسانية، وهي تعمل على تنمية الميل الفطري لدى الإنسان في معرفة ما يجهل وتستثمر حب المعرفة والبحث عن المجهول لديه، وقد استخدم الإسلام كل وسيلة ممكنة للوصول بهذا الميل الفطري إلى مرتبة الشغف بالعلم والتلهف الشديد المستمر لمعرفة ما في الوجود من معارف وأسرار، والإسلام دين الفطرة حيث تتفق كافة تعليماته مع فطرة الإنسان وطبيعة تكونه الجسمي والروحي والوجداني وغير ذلك، قال تعالى: {ولا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا}(١). والتربية الإسلامية في تربيتها لفطرة الإنسان تتمشى مع روح الإسلام التي تقوم في أساسها على التوسط والاعتدال، وقد عنيت التربية في الإسلام بأن تنشئ الفرد على التحكم في رغباته وعدم الانسياق وراء شهوته ونزواته، فموقف الإسلام الاعتدال والتوسط القائم على الموازنة بين بواعث الهوى والشهوة من منطلق الغريزة وبين بواعث القوة والارادة من منطلق العقل، وفي هذا ي يقول الإمام الغزالي رحمه الله: (الفكرة مترددة بين الشهوة والعقل، والعقل فوقها؛ والشهوة تحتها، فمتى مالت الفكرة نحو العقل ارتفعت وشرفت وولدت المحاسن، وإذا مالت إلى الشهوة تسفلت إلى أسفل السافلين وولدت القبائح)(٢)، قال تعالى: {وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}(٣).

٦- التربية الإسلامية تربية مستمرة ومتدرجة:

التربية الاسلامية تربية لا تنتهي بفترة زمنية معينة ولا بمرحلة دراسية محددة وإنما تمتد على طول حياة الإنسان كلها، فهي تربية من المهد إلى اللحد، وهي تربية متجددة باستمرار تنمي شخصية الفرد وتثري إنسانيته، كما أنها تأخذ به إلى الأمام في طريق النمو والتقدم المستمرين(٤).

والحياة لا تسير على وتيرة واحدة فهي تتغير وتتطور ولا بد للإنسان أن يساير هذا التطور وإلا تخلف عن ركب الحياة، والإسلام يساير التطور باستمرار؛ لأنه صالح لكل زمان ومكان؛ ولأنه يستند الى شريعة الله، قال تعالى: { كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}(٥).

---

(١) سورة البقرة من الآية: ٢٨٦.

(٢) ينظر: ميزان العمل للغزالي ص٥٦، والتربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص٧١.

(٣) سورة ص: ٢٦.

(٤) ينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية: ص٧٤.

(٥) سورة هود، الآية: ١.

والتربية الاسلامية تربية متدرجة تعتمد التدرج كأساس نفسي في تنمية قدرات الفرد المختلفة، والتدرج في التربية يفيد في تسهيل عملية تعديل السلوك وتغيير الافعال المحرمة أو العادات غير المرغوبة، وهذا التدرج صفة مميزة للتربية الإسلامية؛ ذلك أن التربية الأخلاقية تتأتى للفرد بالتدرج، وقد كان الإسلام نفسه في أول أمره تربية متدرجة للعرب، فقد نزلت آياته وأحكامه بالتدرج لفترة تزيد عن ثلاث وعشرين سنة، وكان التكليف قبل الهجرة بما استطاعوا من صلاة أو صوم، ومن المعروف أيضا أن تحريم الخمر على المسلمين تم على مراحل، وبعد أن تدرج القرآن معهم حتى انتهى بهم إلى تحريمه بطريقة طبيعية، ولم يحرم عليهم الميسر وكثيرا من عقود الزواج والربا والمعاملات التي كانت يتعاملون بها في جاهليتهم إلا بالمدينة، وكل هذا يشير الى التدرج في التربية الاسلامية[١].

٧- التربية الإسلامية تربية موجهة نحو الخير ومحافظة ومجددة:

التربية الإسلامية تربية محافظة مجددة، فهي محافظة بما تقوم عليه من مبادئ سماوية راسخة ثابته، وقيم أصيلة عريقة تمتد بجذورها في التاريخ إلى ما يقرب من خمسة عشر قرنا من الزمان. وتعمل التربية الإسلامية على استمرار هذه المبادئ والتقاليد والقيم ونقلها إلى الأجيال الإسلامية المتعاقبة، وهي تقوم بهذا الدور الأصيل للتربية في التنشئة الاجتماعية للأفراد وتشكيل شخصياتهم الإنسانية الإسلامية ليشبوا مسلمين، والتربية الإسلامية ليست محافظة وحسب، وإنما هي تربية مجددة، فالإسلام صالح لكل زمان ومكان كما أسلفنا، والمسلمون تتجدد أحوالهم بتجدد ظروف هذا الزمان والمكان، ولذلك كان على التربية الإسلامية أن تكون متجددة لتواجه متطلبات العصر ولتفي بالمطالب المتجددة لحاجات المسلمين ومصالحهم على مر العصور والأزمان[٢].

وبعض العلماء يشوبهم خلط في مفهوم تجدد الاسلام على أنه دين جامد، ولكنه دين فكر وفيه مساحة من التجديد، مؤكدًا أن تطوير الإسلام لا يعنى تغييره بل فتح باب الاجتهاد والحوار، لمواكبة التطور، مؤكدا أن الإسلام دين قول وعمل، ودرء المفاسد وجلب المصالح في الإسلام شيء متجدد ويومي، وليس دينًا متحجرًا، فلهذا جاءت التربية الاسلامية محافظة ومجددة[٣].

---

(١) ينظر: علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف ص٢٨٩، مكتبة الدعوة – شباب الأزهر، ط٨ نشر دار القلم) ، والتربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية: ص٧٦.

(٢) ينظر: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية: ص٧٧.

(٣) ينظر: http://www.youm7.com/.

لما تقدم يمكن القول وبكل جدارة أن الإسلام دين عظيم متكامل يرسم صورة مجتمع فاضل بكافة نظمه السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية والتربوية بجميع مسمياتها، وصدق ربنا عز وجل إذ يقول: {مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}[١].

(١) سورة الأنعام: ٣٨.

المبحث الثاني

أساليب بناء الشخصية الإسلامية ومؤشرات تكاملها وأثاروها الإيجابية على الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: أساليب بناء الشخصية الإسلامية:

أولًا: أسلوب القدوة الصالحة:

إن من الوسائل المهمة جدًا في بناء الشخصية الإسلامية، القدوة الطيبة للمسلم وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزاكية مما يجعله أسوة حسنة لغيره، حتى يكون أنموذجًا يقرأ فيه الناس معاني الإسلام فيقبلون عليها وينجذبون إليها، لأن التأثر بالأفعال والسلوك أبلغ وأكثر من التأثر بالكلام وحده.

ومما لاشك فيه أن الإسلام انتشر في كثير من بلاد الدنيا بالقدوة الصالحة للمسلمين التي كانت تبهر أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها المؤمن بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها سليم الفطرة راجح العقل من غير المسلمين على أن الإسلام حق من عند الله [١].

ومن السوابق القديمة في أهمية السيرة الحسنة للمؤمن وأثرها في تصديقه والإيمان ما روي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أنه قَالَ:(كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ جَبْذَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ وَأَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ)[٢].

وقد ثبت أن ذلك الأعرابي كان قد آمن بهذا النبي الكريم مستدلاً بسَمْته (ﷺ)، ووجهه المنير الكريم الذي يكون عليه أهل الصدق والحلم، وما كان يتحلى به النبي (ﷺ) من أخلاق عظيمة كفيلة بإذن الله تعالى أن يأسر بها القلوب التي كانت شاردة في أودية الضلال.

فلا خير في مرب يتشدق بقيم واتجاهات لا يحققها سلوكيًّا في نفسه، لذا نجد أن القرآن الكريم ينهانا عن التناقض بين القول والفعل، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ}[٣]، وقد كان رسولنا الكريم عليه

---

(١) ينظر: القدوة مبادئ ونماذج ، د صالح بن عبد الله بن حميد،،الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ت: ص٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب التبسم والضحك ، الحديث ذي الرقم (٥٧٣٨) .

(٣) سورة الصف: ٢.

الصلاة والسلام القدوة الحسنة لكل المؤمنين، والمثل الذي يجب الاهتداء به قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ}(١).

قال ابن حزم: (من أراد خير الآخرة وحكمة الدنيا وعدل السيرة والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها واستحقاق الفضائل بأسرها فليقتد بمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وليستعمل أخلاق سيرته ما أمكنه)(٢)، لما تقدم نقول يجب على كل مرب – أباً كان أو مدرساً أو واعظاً – أن يضرب المثل بنفسه لكل ما يدعو إليه حتى يكون له الأثر الطيب في نفوس النشء، الذي نريد أن نمضي به قدما الى أن يكون شخصاً متكاملاً وعنصراً فاعلاً في أسرته ومجتمعه.

ثانيًا: أسلوب الترغيب والترهيب:

يعتمد الإسلام في صياغة الشخصية الإسلامية وتنمية الإنسان معرفيًّا وعقليًّا ونفسيًّا على أسلوب الثواب والعقاب، وهو أسلوب يتفق مع طبيعة الإنسان حيثما كان، وفي أي مجتمع مهما كانت عقيدته ولونه وجنسه(٣).

وقد ثبت بالاستقراء أن لهذا الأسلوب له تأثيره البالغ في نفوس البشر؛ فإن الإنسان جبل على حب الخير، والرغبة في الحصول على كل محبوب، كما طبع على بغض الشر، وما يصيبه من بلاء في النفس، أو المال، أو الأهل، وحينئذ فغريزة حب الإنسان لنفسه تدفعه إلى أن يحقق لها كل خير، ويحميها من كل شر، سواء كان ذلك عاجلا أو آجلا؛ ولذلك فالترغيب والترهيب يفيض بهما بحرا الكتاب العزيز والسنة النبوية(٤).

يقول تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا

---

(١) سورة الأحزاب: ٢١.

(٢) ينظر: الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢ سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م:١/ ٢٤.

(٣) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، د نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة ، ط٣ سنة: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م : ص١٤٢.

(٤) ينظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى ،د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١ سنة: ١٤٢٣هـ: ٤٨٦/٢.

مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ}[1]،وفي قبالة ذلك نجد أن الحق تبارك وتعالى يرهب محذراً من مغبة الخروج عن جادة الحق والصواب قائلاً في كتابه العزيز: { فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}[2]، والشواهد كثيرة لامجال لحصرها في مثل هذا البحث المتواضع.

وتجدر الإشارة ههنا الى مسألتين مهمتين، المسألة الأولى إن المربي الموفق هو الذي يستخدم أسلوب الترغيب والترهيب في مكانه المناسب، وهو الذي لا يجعل أسلوب وعظه الترهيب على الدوام، ولا الترغيب على الدوام، فقد يحتاج إلى الجمع بينهما في مقام واحد، وقد يحتاج إلى الاقتصار على واحد منهما حسب المقام، وهذا يقتضيه الظرف، وطبيعة المناسبة. المسألة الثانية يجب أن يكون المقدم في التعامل هو الترغيب والرفق، كما قال الإمام أحمد: (والناس يحتاجون إلى مداراة ورفق بلا غلظة، إلا رجلا مباينا معلنا بالفسق والردى، فيجب نهيه، لأنه يقال ليس لفاسق حرمة، فالمعلن المصر لا حرمة له)[3].

ثالثاً: أسلوب التخلية قبل التحلية:

وهذا الأسلوب في التربية السلوكية يكون باقتلاع العادات السيئة وتكوين العادات الصالحة، وهذا الأسلوب لم تكتشف أصوله إلا مدرسة ديناميات الجماعة حديثًا. في حين أن الإسلام نَبَّهَ إِلَيْهِ مُنْذُ أكثر من أربعة عشر قرنًا. حيث بدأ الإسلام بإزالة العادات السيئة التي طغت في مجتمع الجاهلية، وكان السبيل إلى ذلك أمرينِ، الأول: هو القطع الحاسم الفاصل، والثاني: أسلوب التدرج البطيء. ويتوقف استخدام الأسلوبين الأول أو الثاني على نوع العادة التي كان يعالجها ودرجة أهميتها ومدى عمقها داخل الجماعة[4]. فالعادات التي تتصل بالعقيدة هي الأسس الجوهرية للإسلام مثل عبادة الأصنام والوقوف أمام التماثيل والدعارة قطعها الإسلام بشكل حاسم من اللحظة الأولى؛ لأنها مثل الأورام السرطانية لا بد أن تستأصل من جذورها وإلا فلا حياة. أما بالنسبة لبعض العادات الاجتماعية التي تحتمل التأجيل في اقتلاعها، ولا تتصل بالأساس العقائدي الأول للإيمان مثل شرب الخمر والزنا والربا ، فقد لجأ الإسلام في علاج كل منها إلى التدرج على مراحل[5].

---

(١) سورة فصلت: ٣٠-٣٢.

(٢) سورة النور: ٦٣

(٣) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَـلَّال البغـدادي الحنبلـي (المتـوفى: ٣١١هـ) ، تحقيـق: الـدكتور يحيـى مـراد ، دار الكتـب العلمية، بيروت – لبنان ، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ،ص٢٤.

(٤) ينظر: بناء المجتمع المسلم: ص١٤٧.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ص١٤٨.

من هنا ينبغي أن يقال لمن يتصدى لعملية التنشئة الاجتماعية مربين كانوا أو مصلحين أو دعاة أن يراعوا هذا الأسلوب فالحسم في موطن، والتدرج في مواطن أخرى، فاذا برئ الأنسان من العادات السيئة التي تتنافى مع الدين والأخلاق يصار بعد ذلك الى غرس الفضائل والعادات الصالحة.

رابعاً: أسلوب النقاش والحوار:

يتفق علماء التربية والنفس على ان الطريقة المناسبة هي التي تتفق مع طبيعة الموضوع، ومدى معرفة المستمعين به، ونوعية المستمعين ومستوى ذكائهم وقدراتهم الإدراكية، ومراعاة الفروق الفردية.

قد شاع بين المسلمين تأسيا برسول الله عليه الصلاة والسلام وضع قاعدة مهمة في هذه المسألة مفادها (خاطبوا الناس على قدر عقولهم).

وفي إطار هذه الأصول التي يؤكدها هدي النبي (ﷺ) في الخطاب، توصلت التجارب الإنسانية إلى فاعليتها في عملية الإقناع الفكري، فإنه ينبغي عند التخطيط للخطاب الناجح مراعاة أن يحدد المرسل أو المصدر هدفه من الاتصال؛ لأن تحديد الهدف يعني تحديد الوقت، والجمهور المتلقي، والمكان والزمان، ومحتوى الرسالة وشكلها وأسلوب صياغتها، ثم يجب عليه وعلى المخاطب أن يراعي أحوال المخاطبين، فالجاهل له معاملة في الخطاب والعالم له معاملة والمعاند له معاملة، فيعاملوا كلا بما يليق به، قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[١]، وذلك أن المخاطبين لهم حالات يعاملون في كل حالة بما يناسبها: الحالة الأولى: أن يكون المخاطب جاهلا بالحق ولو بين له لأخذ به، فهذا يدعى بالحكمة واللين واللطف والرأفة. الحالة الثانية: من إذا بين له الحق لم يسرع لقبوله والعمل به، بل يكون عنده كسل وفتور، فهذا يحتاج مع البيان إلى موعظة بأن يخوف ويبين له ثواب المطيعين وعقاب العاصين. الحالة الثالثة: من إذا بين له الحق لم يقبله، وحاول رده بالشبهات، فهذا يجادل بالتي هي أحسن لكشف شبهاته وبيان خطئه[٢].

---

(١) سورة النحل :١٢٥.

(٢) ينظر: الدعوة إلى الله مكانتها وكيفيتها وثمراتها ، الدكتور صالح بن فوزان الفوزان ، مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد: ١٥٩/٣١.

المطلب الثاني: المؤشرات الصحية لتكامل الشخصية الاسلامية:

أولاً : التوافق الذاتي:

ويتمثل هذا في قدرة الفرد على التوفيق بين دوافعه المتصارعة توفيقًا يرضيها بشكل متزن وفي إطار ما تسمح به العقيدة السمحة والتوجيهات القيمية الإسلامية. فالمسلم قادر على ضبط نفسه وضبط شهواته حتى يستطيع ممارستها بالأسلوب المشروع(١). إذ إن مما لاشك فيه أن للإنسان شهوات جامحة ورغبات متعددة وقد قنن ديننا الإسلامي الحنيف إشباع هذه الشهوات والرغبات بطرق منتظمة وسبل متنوعة وبما يتفق مع الحدود الشرعة والقواعد الأدبية، فضلاً على أنها تلبي حاجات الإنسان النفسية والاجتماعية وغيرها٠ فعلى سبيل المثال أباح الإسلام للرجل أن تكون له أكثر من زوجة في وقت واحد قال تعالى: { فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا}(٢)، فإذا ما كان لزوج أن يرى في زواجه بأكثر من واحدة إشباعًا لحاجاته الجسمية والنفسية وحاجاته إلى الولد والمودة والرحمة ومساكنة الزوجة ، فإن الزوجة الأولى قد تعجز عن الوفاء بكل حاجات الزوج إما بسبب المرض أو كبر السن أو غير ذلك٠ وقس على ذلك في حاجات الإنسان الأخرى كحبه لتملك المال ومزاولة الأنشطة الرياضية والسفر الى غير بلاد الإسلام للتجارة وغيرها، وشغف الكثير من النسوة في طلب العلم والعمل خارج البيت، واضطرار المرأة الى مخالطة الرجل في كثير من المحافل المجتمعية، كل ذلك قننتهُ الشريعة الإسلامية بحدود شرعية وضوابط واقعية كلها تصب في بناء شخصية اسلامية متزنة ومتكاملة٠

ثانياً: الشعور بالرضا والسعادة:

ويتمثل في استمتاع الفرد بالحياة بعمله وأسرته وأصدقائه وشعوره بالطمأنينة وراحة البال والأمن في أغلب أحواله. فالمؤمن لا يشعر بالخوف على المستقبل لأن المستقبل غيب والغيب بيد الله، ولا يقلق على الموت لأنه يعلم أنه السبيل إلى حياة أبدية في جنة الخلد إن كان من المؤمنين حقًّا، وهو لا يقلق على الرزق لأنه يوقن: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}(٣)، ويوجهنا سبحانه إلى عدم نسيان نصيبنا من الدنيا: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}(٤) ، ويقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

(١) ينظر: بناء المجتمع الإسلامي :ص١٦١.

(٢) سورة النساء: ٣.

(٣) سورة الذاريات: ٥٨.

(٤) سورة القصص: ٧٧.

رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}[١]٠ ثم إن الرسول الهادي النذير مربي هذه الأمة (ﷺ) يقول في وصيته لكل مسلم متبع وليس مبتدع: (واقنع بما قسم الله تكن أغنى الناس)[٢]، لذلك فإن المؤمن بثوابت هذا الدين يوقن فلا يقلق، ويرضى فلا يسخط، ويقنع فلا يجزع٠ وأخيراً وليس آخراً نقول إن من المقاصد السامية لهذا الدين العظيم هو بناء إنسان يتميز بكل مظاهر القوة والحيوية والنشاط.

ثالثاً: القدرة على العطاء والإنجاز والعمل:

كثيرًا ما يكون الكسل والخمول والسلبية مؤشرات لشخصيات هدتها الصراعات والأمراض النفسية بشتى أشكالها، والإنسان كما يريده الله جل جلاله قوة فاعلة موجهة مريدة إستخلفها الله في الأرض حتى تعطي ولا تمنع، تبني وتعمل دون ضجر أو ملل وعلى قدر عطائها وإنجازها في هذه الدنيا، سيكون الجزاء والثواب في الآخرة٠يقول الحق تيارك وتعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[٣]، ويقول أيضاً عز من قائل {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}[٤]، لذلك نجد أن خاتم النبيين (ﷺ) يقول في الحديث الصحيح (إِنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإِنْ استَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا)[٥].

فالشخصية الإسلامية السليمة هي التي تقوم على أساس الإيمان والتوافق الاجتماعي والنفسي، والتي تخلو من الصراعات والقلق والقادرة على الصمود أمام الشدائد والملمات.

المطلب الثالث: الآثار الإيجابية لتكامل الشخصية الاسلامية على الفرد والمجتمع

أولاً: الآثار الإيجابية لتكامل الشخصية الاسلامية على الفرد

ينعكس النظام التربوي الإسلامي على سلوك الفرد قولا وعملا ، كما ينعكس أثر الالتزام بهذه النظام على ذات الفرد ونفسه ؛ محققة نوعا من الكمال النفسي والصفاء، ويمكن إيجاز هذه الآثار فيما يأتي:

---

(١) سورة البقرة: ١٧٢.

(٢) رواه الترمذي في سننه ، بَابٌ: مَنْ اتَّقَى الْمَحَارِمَ فَهُوَ أَعْبَدُ النَّاسِ ،الحديث ذي الرقم (٢٣٠٥) ، وقال الألباني: حديث حسن.

(٣) سورة التوبة: ١٠٥.

(٤) سورة فاطر:١٠.

(٥) رواه البخاري في الأدب المنفرد ، ك البر والصلة والآداب، باب اصطناع المال ،الحديث ذي الرقم (٤٧٩) .

١- يهيئ للأفراد اختيارات معينة؛ عن طريق الأوامر والنواهي والالتزامات التكليفية، تحدد السلوك الصادر عنهم. وبمعنى آخر: تحدد أشكال السلوك، ومِن ثَمّ تؤدّي الدور الهام في تشكيل الشخصية الفردية السعيدة في الحياة الدنيا وفي الحياة الآخرة، عن طريق تحديد أهدافها في إطار معياري صحيح.

٢- يعطي الفرد إمكانية تحقيق ما هو مطلوب منه في إطار الرسالة الإسلامية، وتمنحه القدرة على التكيّف والتوافق الإيجابيين، وتحقيق الرضا عن النفس بإرضاء الله تعالى؛ عن طريق التجاوب مع الجماعة في مبادئها وعقائدها وأخلاقها الصحيحة. تحقق للفرد الإحساس بالأمان؛ إذ هو يستعين بها على مواجهة ضعفه وضعف نفسه، ومواجهة التحديات والعقبات التي تواجهه في حياته.

٣- يعطي للفرد فرصة ودفعة نحو تحسين وعيه، ومعتقداته، وسلوكياته لتتضح الرؤية أمامه، ومِنْ ثَمَّ تساعده على فهم العالم من حوله وتوسع مدلولات الإطار الفكري لفهم حياته وعلاقاته.

٤- يعطي للفرد فرصة للتعبير عن الذات، مؤكدا ذاته في إطار العبودية الصحيحة لله وعن فهم عميق لها ولإمكاناتها.

٥- يعمل على إصلاح الفرد نفسيا، وتوجهه نحو الخير والإحسان الواجب وكافة مكارم الأخلاق التي تضمن حياة نظيفة في الدنيا، وجزاء أوفى في الآخرة.

٦- يعمل على ضبط الفرد لشهواته، ومطامعه، فلا تتغلب على فكره ووجدانه، لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام أهمها إرضاء الله سبحانه وتعالى، ومِنْ ثَمَّ يتصرف في ضوئها وعلى هديها.

٧- يبعِد الإنسان عن النقص البشري الذي يجعل الحياة جحيما لايطاق وذلك جرّاء صفاتٍ أبرزها: الجبن، والخوف، والاستهتار، واللامبالاة .. إلى غير ذلك من صفات يجب أن يتجنبها الإنسان.

إن هذه المبادئ التي يحتويها النظام التربوي السلامي؛ باعتباره الإطار المرجعي لسلوكيات الفرد والجماعة، وهي التي تمثل القيم والأخلاق والمهارات والأذواق التي منها تتشكّل شخصية المسلم القيمية والأخلاقية؛ باعتبارها معايير تربوية واقعية، توجه جميع أفعال الفرد في مختلف المواقف الفردية والجماعية[١].

(١) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ،دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤ ، جدة، د.ت: ص٨٦.

ثانياً: الآثار الإيجابية على المجتمع:

ومن الآثار الجلية للنظام التربوي الإسلامي على المجتمع المسلم[١]:

١- المحافظة على المجتمع وتماسكه، فتحدد له أهداف حياته ومُثُلُه العليا، ومبادئه الثابتة المستقرة، التي تحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة متواصلة.

٢- يساعد المجتمع على مواجهة التغييرات التي تحدث فيه، بتحديدها الاختيارات الصحيحة والسليمة التي تسهل على الناس حياتهم، وتحفظ على المجتمع استقراره وكيانه في إطار موحَّد.

٣- يربط أجزاء ثقافة المجتمع بعضها ببعض حتى تبدو متناسقة، كما أنه يعمل على إعطاء النظم الاجتماعية أساسا إيمانيا وعقليا يصبح عقيدة في ذهن أعضاء المجتمع المنتمين والمتفاعلين بهذه الثقافة، تقي المجتمع من الأنانية المفرطة، والنزعات، والاهواء والشهوات الطائشة التي تضر به وبأفراده ونظمه، فهو يحمل الافراد على التفكير في أعمالهم على أنها محاولات للوصول إلى أهداف هي غايات في حد ذاتها، وليس على أنها مجرد أعمال لإشباع الرغبات والشهوات.

٤- يزود المجتمع بالصيغة التي يتعامل بها مع العالم الطبيعي والبشر ويحدد له أهداف ومبررات وجوده، حتى يسلك في ضوئهما، ويستلهمها الافراد في سلوكياتهم٠

(١) ينظر: الأثر الاجتماعي لتعلم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع ، د.عبدالله كمبيجو ، بدون بيانات ،٢٩/١، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم: ص٨٦.

الخاتمة

بعد هذه الجولة اليسيرة في هذا الموضوع، يمكن إيجاز النتائج التي تمخض عنها البحث فيما يأتي:

- إن النظام التربوي في الإسلام يتطلع الى تحقيق جملة من الأهداف طبقًا لأساليبه وطرائقه التربوية حتى يكون الإنسان المتبع لهذا الدين متكاملًا من النواحي البدنية والنفسية والأخلاقية.
- تستند التربية الإسلامية إلى مجموعة من الأسس والقيم والتي هي بمثابة قواعد وركائز ثابتة يبتنى عليها النظام التربوي في الإسلام، ولابد للمشتغلين في مجال التربية مراعات الحالات النفسية للشخص الايجابي.
- يمتلك النظام التربوي أساليب عدة من شأنها أن تسهم في بناء الشخصية الإسلامية وتقويمها وتوجيهها، لترشد وتتوازن، وتسلك سلوكها الايجابي في الحياة، حتى تكون شخصيته سعيدة وواقعية تنعم بخيري الدنيا والآخرة، ومن هذه الأساليب (القدوة الحسنة، أسلوب الترغيب والترهيب، أسلوب التخلية قبل التحلية، أسلوب النقاش والحوار).
- هناك عدداً من المؤشرات التي تدلل على سلامة الشخصية الإسلامية من النقائص، ومن هذه المؤشرات (التوافق الذاتي، الشعور بالرضا والسعادة، القدرة على العطاء والإنجاز والعمل).
- ينعكس النظام التربوي الإسلامي على سلوك الفرد قولا وعملا، كما ينعكس أثر الالتزام بهذه النظام على ذات الفرد ونفسه؛ محققة نوعا من الكمال النفسي والصفاء.
- وكذلك من الآثار الإيجابية لتطبيق النظام التربوي الإسلامي المحافظة على المجتمع وتماسكه، حتى يكون قادراً على مواجهة التحديات والتغيرات الدخيلة على المجتمع، كما أنه يعمل على إعطاء النظم الاجتماعية الأخرى شيئاً من الاستقرار والثبات، كون أن النظام التربوي يقوم على مبادئ وقيم أخلاقية باعتبارها معايير تربوية واقعية، توجه جميع أفعال المسلم الايجابية في مختلف المواقف الفردية والجماعية.

وأخيراً نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لما فيه صلاح البلاد والعباد، والحمد لله في الأولى وفي الآخرة وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المصادر

- الأثر الاجتماعي لتعلم القرآن الكريم على الفرد والمجتمع، د. عبدالله كمبيجو، بدون بيانات.
- الأخلاق والسير في مداواة النفوس، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٣ سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، نشر: مؤسسة الرسالة، ط٩ سنة: ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: الدكتور يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ سنة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- الإنسان في القرآن، المؤلف عباس العقاد، نشر دار الاسلام.
- بناء المجتمع الإسلامي، المؤلف: د نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط٣ سنة: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، المؤلف: محمد منير مرسي، عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعلمها، المؤلف: عاطف السيد، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، سنة ٢٠٠٨م.
- تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، المؤلف: دكتور زكريا الشربيني- دكتورة يسرية صادق، دار الفكر العربي.
- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، د. سعيد بن على بن وهف القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط١ سنة: ١٤٢٣هـ.
- دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، إسحاق بن عبد الله السعدي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، سنة: ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- الدعوة إلى الله مكانتها وكيفيتها وثمراتها، الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت.

- سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة: ٢٧٥هـ، تحقيق وتعليق سعيد محمد اللحام، طبعة جديدة منقحة ومفهرسة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- سنن البيهقي الكبرى للشيخ احمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز في مكة المكرمة.
- سنن الترمذي للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، ط دار الكتب العلمية – بيروت.
- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبة البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا؛ دار ابن كثير اليمامة بيروت، ط٣ سنة:١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- صحيح الجامع الصغير، للشيخ محمد الألباني، ط٢ بيروت.
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، ط- دار إحياء التراث العربي بيروت.
- طرق تدريس التربية الاسلامية، الدكتور محمد الزحيلي، نشر: جامعة دمشق.
- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف (المتوفى : ١٣٧٥هـ)، مكتبة الدعوة – شباب الأزهر،ط٨ نشر دار القلم.
- علم الأخلاق الإسلامية، المؤلف: مقداد يالجن محمد علي، نشر: دار عالم الكتب للطباعة والنشر الرياض، ط١سنة: ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م ط٣ سنة: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- القدوة مبادئ ونماذج، د صالح بن عبد الله بن حميد،،الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ت.
- كتاب طرائق التدريس التربية الإسلامية في مدارس البنات، فوز بنت عبد اللطيف كردي ،المملكة العربية السعودية، د.ت.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشهير بالمتقي الهندي المتوفى: ٩٧٥هـ، المحقق: بكري حياني وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥، سنة: ١٤٠١هـ/١٩٨١م.
- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت ط١ سنة:١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، نشر مؤسسة الرسالة ط٢ سنة:١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

- ميزان العمل، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ط١، سنة: ١٩٦٤ هـ.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم(ﷺ)، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، ط٤، جدة، د.ت.
- هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، المؤلف: أبو أسامة، محمود والتوزيع، الرياض السعودية، ط٢، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.